دراسة أسلوبية لقصيدة "التشوق إلى بروسه[1]" للأمير عبد القادر الجزائري

A stylistic study of the poem "Suspense to Bruce" by Prince Abdul Qadir Al-Jazaery

محلو فاطمة الزّهراء[1,*]، سعداني سليم[2]

[1]جامعة ورقلة ، (الجزائر)، mfati89@gmail.com

[2]جامعة الوادي (الجزائر)، sadani-salim@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2022/12/09 **تاريخ المراجعة:** 2024/01/27 **تاريخ النشر:** 2024/09/30

ملخص: تهدف هذه الدّراسة إلى تحديد الخصائص الأسلوبيّة والسّمات الفنيّة والجماليّة التّي رسمت معالم الأسلوب الشّعري للأمير عبد القادر الجزائري من خلال قصيدته " التشوّق إلى بروسة"، ويقوم هذا التّحليل وفق إجراءات المنهج الأسلوبي بالتّركيز على المستويات اللسانية المعهودة؛ الصّوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة التي من خلالها تبرز المعالم الأسلوبيّة التّي وُسِم بها هذا العمل الأدبيّ.

الكلمات المفتاحية: الدّراسة الأسلوبيّة، الصّوت، التّركيب، الدّلالة.

***Abstract**: This study aims at identifying the stylistic characteristics and the artistic and aesthetic features which distinguish the poetic style of Emir Abdelkader El Djezaïri in his poem "Longing for Bursa." The analysis of the poem draws on the stylistic approach, focusing on the three linguistic levels (the phonetic, the structural and the semantic) through which the stylistic elements which characterize this literary work emerge.*

***Key words:** Stylistic study, sound, structure, semantics.*

تقديم:

إنّ التّحليل الأسلوبي أو ما يعرف بالدّراسة الأسلوبيّة للنّصوص الأدبيّة هو تصنيف وتحديد للملامح اللّغويّة والفنيّة التّي يتّسم بها العمل الأدبي لاكتشاف الهويّة الأسلوبيّة التّي بُني عليها هذا العمل والتّي يتفاضل بها الأدباء والشّعراء فيما بينهم.

* المؤلف المراسل

وتتناول الدّراسة الأسلوبيّة النصّ الأدبي من مستويات عديدة أبرزها: المستوى الصّوتي ومصادر الإيقاع فيه، ومن ذلك الوزن والقافية والتّكرار، وما يبثّه المنشئ من جرس موسيقيّ ينفذ إلى السّمع والحسّ، والمستوى النّحوي أو التّركيبي أين نهتمّ بمدى كثافة التّراكيب الجمليّة الفعليّة أو الاسميّة في العمل الأدبي، وكيفية تراكيبها، بالتركيز على تلك التراكيب الانزياحية كالتّقديم والتّأخير أو الحذف...، والمستوى الدّلالي يعتمد على المجاز وطبيعة الحقول الدّلالية، لاكتشاف النّمط الغالب عليه ولمعرفة ميول أو التيّار الأدبي الذّي ينتمي إليه المنشئ، فالشّاعر الرّومانسي مثلا يستمدّ ألفاظه من الطّبيعة...إلى غير ذلك...[2]

إنّ العمل الشّعري بالنسبة للشّعراء ومنهم الأمير عبد القادر ـ الذّي سنتناول إحدى قصائده ـ هو " إحساس تفيض به مشاعره فيكتبه أو يمليه، أو يكون إجابة لداع من الدّواعي الكثيرة التّي عايشها الأمير وملأت حياته كلّها، لحظات إلهام، واستجابة خاطفة . ثمّ ينصرف إلى نمط حياته"[3]، وفيما يلي سنعرض لتلك المستويات التي أشرنا إليها ودرس مباحثها، في قصيدة الأمير: " التشوّق إلى بروسة"

أوّلا: المستوى الصّوتي:

1. الإيقاع الخارجي: الوزن والقافية:

أ- الوزن :

نُظمت أبيات قصيدة "**التشوّق إلى بروسه**" للأمير على بحر الطّويل وهو أحد البحور الشّعريّة العربيّة الأكثر استخداما، يتميّز بطوله وكثرة حروفه(حوالي 48 حرفا)، ويرد غالبا مزدوج التفعيلة (فعولن مفاعيلن)، وقد جاء في الشّعر العربيّ تامّاً، كذلك الأمير وظّفه تامّا، حيث يقول الأمير في مطلع قصيدته:

أبى القلب أن ينسى المعاهد من بُرْسَا وحُبّي لها بين الجوانح قد أرسى

0/0/0///0//0/0/0//0/0// 0/0/0///0//0/0/0//0/0//

فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن

وكما هو واضح فقد ورد بحر الطّويل تامّا في هذا البيت. وقد اختاره الأمير نظراً لتوافقه الإيقاعيّ مع انفعالات الحزن والاشتياق نتيجة مفارقته لهاته المدينة التّي اعتبرها وطنه الثّاني وذلك لما حظي فيها من حسن أخلاق ولطافة ولين، فرأى الأمير أنّ بحر الطّويل يلائم المشاعر التّي سردها في قصيدته لطول نفسه.(هل من مرجع يثبت ذلك).

ب ـ القافية:

تعدّ القافية من دعائم بنية القصيدة العربيّة وذلك لما تتيحه من جرس ايقاعيّ يزيّن القصيدة ويكسبها عذوبة وجمالا.

ومفهوم القافية متعدّد عند العرب، فمنه قول السّكّاكي: " القافية عند الخليل من آخر حرف في البيت إلى أوّل ساكن يليه، مع المتحرّك الذّي قبل السّاكن، وعند الأخفش: آخر كلمة في البيت، وعند أبي قطرب وأبي العبّاس ثعلب: الرويّ، وعند بعضهم: القافية هي البيتُ، وعند بعضهم هي القصيدةُ"[4]، وكي تتميّز القصيدة وتتزيّن بقافيتها يجب مراعاة حسن نسجها وتعالُقها مع تراكيب القصيدة وانسجامها.. كما يجب أن تتماشى القافية وتتوافق مع النّسيج الدّلالي للقصيدة.

وتنقسم القافية إلى: حرف الرّوي ويسبقه الرّدف أو التّأسيس والدّخيل ثمّ يليه الوصل والخروج.

ويبدو أنّ الأمير عبد القادر قد كان على نهج سابقيه من الشّعراء في توظيف القافية المطلقة وهي ما كان آخرها متحرّكاً، كما هو موضّح في البيت الموالي:

فما جازها فضل ولا حلّ دونها سواها نجوم وهي أحسبها (شَمْسَا)

عليّ محال بلدة غيرها أرى بها الدّين والدّنيا طَهورا ولا (نَجْسَا)

وإذا ما أخذنا بالتعريف الذّي يحدّد القافية بأنّها آخر حرفين ساكنين من البيت مع الحرف الذّي بينهما والمتحرّك الذّي قبلهما، فقد توحّدت القافية في كلّ أبيات القصيدة وهي كما هو موضّح قد وردت مطلقة وما قبل آخرها ساكن.

وأمّا الرويّ فهو الحرف الذّي تبنى عليه القصيدة من أوّل بيت إلى آخر بين فيها، والرويّ في قصيدة الأمير هو حرف السّين الذّي تكرّر في آخر كلّ بيت من أبيات القصيدة. وقد كان صدى صوت السّين مناسبا للرّسالة التّي يرغب الأمير بإيصالها لمدينة بروسة وأهلها من تشوّق وحزن على الفراق، واستحالة نسيان أفضالهم عليه.(هل من مرجع يثبت ذلك).

- **2. الإيقاع الدّاخلي** : وتمثّل في ظاهرتي التّكرار والجناس.

أ- التّكرار:

وهو في اللّغة من الكرّ بمعنى الرّجوع، يقول ابن منظور: " الكرّ: الرّجوع يقال كرّه وكرّ بنفسه...والكرّ مصدر كرّ عليه يكرّ كرّاً وكروراً وتكراراً: عطف عليه، وكرّ عنه رجع وكرّر الشّيء وكرّره: أعاده مرّة أخرى، فالرّجوع إلى شيء وإعادته وعطفه هو تكرار"[5] .

وأمّا في الاصطلاح فهو تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرّة في سياق واحد إمّا للتّوكيد أو زيادة التّنبيه أو التّهويل أو التّعظيم أو التلذّذ بذكر المكرّر"[6] وهو من أكثر الألوان التّعبيريّة التّي يستخدمها الشّعراء في بناء نصوصهم

الشّعريّة لما يحقّقه من تناسب بين الوحدات اللّغويّة فيترتب عنه تلاؤم إيقاعيّ ودلاليّ، يحمل وظيفة التّأكيد والتّقرير وشدّ الانتباه. ولهذا التّكرار عدة أنواع نعرض لها فيما يلي:

أ ـ 1. التّكرار الحرفي أو الصّوتي:

الحرف هو السّمة الكتابيّة لأي صوت والصّوت هو السّمة النّطقيّة لكلّ حرف، فما الحرف إلّا صوت عند النّطق به. ولما لظاهرة التّكرار الصّوتي من وظائف جماليّة فقد تلوّنت أشعار بهذه السّمة الأسلوبيّة لما لها من دور في التّأثير ولفت انتباه السّامعين وكذا تبليغ الرّسالة، وتوطيد الرّابط الوجداني المشترك بين الشاعر والمتلقّي.

فقد لمسنا غلبة صدى صوت اللاّم ـ وهو حرف مجهور متوسّط الشدّة ـ في قصيدة الأمير وذلك بتردّد 66 مرّة، يليها صدى صوتي السّين والباء بتردّد 42 مرّة، ثمّ حضور حرف الحاء بنسبة 16 مرّة وهي نسبة معتبرة بالمقارنة مع ما سبقها من الأصوات.

وغلبة حضور صوت اللّام في قصيدة الأمير يحمل دلالة صوتيّة تفيد التصاق مشاعر وجوارح الأمير عبد القادر والوحشة العميقة التّي انتابت الشاعر إثر ذكره لبروسة، فكان صوت اللّام هو الصّوت الحاسم والمساعد في تشكيل معاني الوحشة والحنين، وكذا إثبات عمق المحبّة والصّلة التّي جمعت بين الشّاعر الأمير ومدينة بروسة، ومثال ذلك قوله :

أبى القلب أن ينسى المعاهد من بروسا وحُبّي لها بين الجوانح قد أرسى

أ ـ 2 ـ التّكرار اللّفظي: يكون التّكرار اللّفظيّ بتكرار أو إعادة لفظة أو أكثر في ثوب وحدات متتالية أو متناثرة عبر ثنايا القصيدة(بشكل أفقي أو عمودي) فينشأ فضاءا من الموسيقى والنّغم الذّي من غير الممكن اعتباره أمراً عاديّا.

فكان من التّكرار اللّفظي في قصيدة الأمير تكرار الفعل (ينسى) وذلك تأكيدا منه على استحالة نسيان مدينة بروسة، وقد اقترن تكرار فعل النّسيان في القصيدة إما بأداة التّوكيد (أن) أو بحرف النّفي (لا) وكلّ هذا يصبّ في كفّة الرّابط الوثيق الذّي يجمع بين الأمير عبد القادر ومدينة بروسة التّي يستحيل ـ كما يروي في قصيدته ـ أن ينسى: جمالها و فضل سلطانها عليه أو أعلامها من علماء ومجاهدين وأولياء صالحين، أو جمال طبيعتها الخلّابة التّي افتتن بها فوصف حسن رياضها ونهره الجاري، وفخامة قصورها، كما لن ينسى أهل بورسة الذّين كانوا أُنسا له وأمنا إلى جواره وعزاءا له في منفاه.

كما كرّر الأمير مفردة (بلدة) بحوالي أربع مرات، والذّي حمل دلالة الوطن، فمشاعر الأمن والأنس، ومظاهر الجمال الطّبيعيّة والعمرانيّة والأصول الدّينيّة لهذه المدينة كلّ هذا يقارب إلى حدّ بعيد البيئة التّي ربي فيها الأمير، ممّا وطّد العلاقة بينه وبينها. وذلك في الأبيات التّالية:

بلاد لها فضل على كلّ بلدة سوى من يشدّ الزّائرون لها الحلسا

عليّ محال بلدة غيرها أرى بها الدّين والدّنيا طهورا ولا نجسا

أُناس بهم أهلي سلوت وبلدتي وفي كلّ آن قد أرى ناظري أُنسا

كما كرّر الأمير لفظة (الدّين) بحوالي أربع مرات، وتفسير هذا التّكرار أنّ الشّاعر يولي اهتماما بالغا للجانب الدّيني من حياته ، ممّا جعله يركّز حول ما في هاته المدينة من سمات دينيّة ويؤكّد عليها من خلال تكرار هذا المصطلح.

وذلك في الأبيات التّالية:

عليّ محال بلدة غيرها أرى بها الدّين والدّنيا طهورا ولا نجسا

بها آل عثمان الجهابذة الأولى أشادوا منار الدّين و ابتذلوا النّفسا

ألا يبكهم للدّين من كان باكيا فما شأن هذا الدّين في عصرهم نحسا

كذا كرّر الأمير ألفاظا أخرى نذكرها (روضة ، أسلو، القلب ، أهل، هيهات، الفخر) وتكرار هاته المصطلحات يحمل دلالة تعلّق الشّاعر بمدينة بروسة وافتتانه بجميع مظاهرها الدّينيّة والطّبيعيّة وكرم وحسن أخلاق أهلها ولطفهم فكانوا نعم الأُنس له كما يشيد الأمير بأصالة وعراقة تاريخها الحضاري.وذلك في الأبيات التّالية:

ومنزله الأعلى حكى لي روضة به الفخر قد أمسى به الفضل قد أرسى

ألا ليت شعري هل أحلّ رياضها بنارباش هل أطيب به نفسا

أُكلّفه سلوانها وهو مغرم فهيهات أن يسلو وهيهات أن ينسى

فهبني أسلو أرضها بتكلّف فلست بسال للأهالي ولا أنسى

أبى القلب أن ينسى المعاهد من برسا وحبّي لها بين الجوانح قد أرسى

تباعدت عنها ويح قلبي بعدها فخلّفتها والقلب خلفي بها أمسى

وسلطانها أعني الأمير رئيسها به افتخرت برسا فأعظم به رأسا

أناس بهم أهلي سلوت وبلدتي وفي كلّ آن قد أرى ناظري أُنسا

واعتمد الأمير على خاصيّة التّكرار توكيدا وتثبيتا وواصفا حالته الشّعوريّة المحبّة والعاشقة لمدينة بروسة العريقة وما تعلّق بها من مناظر طبيعيّة وعمرانيّة وخلق كريم تميّز به أهلها.

ب ـ الجناس:

وهو فنّ بديع اشتهر بأسماء مختلفة، منها: التّجنيس والمجانسة والمجانس...، ومردّ هذه التّسمية إلى أنّ حروف ألفاظه تكون من جنس واحد[7]، وهو عند ابن المعتزّ: "أن تجيء الكلمة تجانس الأخرى في بيت شعر أو كلام، ومجانستها لها، أن تشبهها في تأليف حروفها"[8] ويعرّفه السكّاكي بأنّه: " تشابه الكلمتين في اللّفظ"[9]، وهو على نوعين، تامّ وفيه يتّفق اللّفظان في أنواع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها. والأمير لم يوظّف هذا الضّرب في قصيدته. والنّاقص هو ما اختلفت فيه الكلمتان في إحدى الشّروط السّابقة وقد وظّفه الأمير في البيت الأوّل من القصيدة بين المفردتين (يَنْسَى وأَرْسَى) بقول الشّاعر:

أبى القلب أن يَنْسَى المعاهد من برسا وحبّي لها بين الجوانح قد أَرْسَى

كما ورد الجناس في القصيدة في البيت التّاسع بين المفردتين (أَمْسَى وأَرْسَى) بقول الشّاعر:

ومنزله الأعلى حكى لي روضة به الفخر قد أَمْسَى به الفضل قد أَرْسَى

وحضر الجناس أيضا في القصيدة بين المفردتين (خلّفتها وخلفي) فالأولى بمعنى تركتها والثّانية بمعنى ورائي، وذلك في البيت التّالي:

تباعدت عنها ويح قلبي بعدها وخلّفتها والقلب خلفي بها أمسى

كما حضر الجناس في القصيدة بين المفردتين (الدّين والدّنيا) وقد تشابهتا في أنواع الحروف واختلفتا في ترتيبها، وذلك في البيت الموالي:

عليّ محال بلدة غيرها أرى بها الدّين والدّنيا طهورا ولا نجسا

يُضفي الجناس على القصيدة نغما جميلا جذّابا يبعث في المتلقي استحسانا واستئناسا، كما يتيح للشّاعر الحريّة في اختيار الألفاظ بما يخدم الإيقاع . كما لا يخفى علينا ما يتيحه الجناس من ثراء دلاليّ في القصيدة.

ثانيا . المستوى التّركيبي:

وفيه سنتعرض إلى أنواع الجمل المستخدمة في القصيدة من فعليّة واسميّة وما طرأ عليها من تقديم وتأخير وحذف وكذا ما ورد فيها من جمل اعتراضيّة وأساليب إنشائيّة.

تقوم البنية الأسلوبيّة التّركيبيّة للخطاب الأدبي على تآلف الوحدات الدّالة التّي تشكّل تركيبا نحويّا ذا فعاليّة تؤدّي جزءا من معنى القصيدة وجماليّتها، وذلك يتأتّى بتظافر هذا التّركيب النّحوي مع عناصر أخرى تشّكل في مجموعها تركيباً بلاغيّا لتحقّق أدبيّة الخطاب الأدبيّ[10]. وقد يطرأ تغيّر في تركيب النّظام النّحويّ على مستوى الجملة فيعمد النّاظم لتأخير ما مقامه التّقديم وتقديم ما مقامه التأخير، أو أحيانا حذف أحد عناصره، وذلك لغرض بلاغيّ ارتضاه ليعبّر به عن تجاربه التّي أنتجت لنا قصائد احتوت على الجمل بأنواعها، وسنقوم في تحليلنا للتّركيب النّحوي لقصيدة الأمير بتحديد أنواع الجمل التّي استخدمها ونسبة استعمالها.

1. الجملة الفعليّة:

الجملة الفعليّة هي "وحدة إسنادية تبدأ أصالة بفعل تامّ، وعمدتها الفعل أي المسند والفاعل أو نائب الفاعل أي المسند إليه"[11]، والفعل ما دلّ على معنى في نفسه واقترن بزمان مثل: **دَرَسَ**، ومن علامات الفعل قبول الحروف التّالية: السّين وسوف وتاء التّأنيث أو ضمير ...[12]

وقد وظّف الأمير الجملة الفعليّة بأنواعها في قصيدته حوالي خمس وعشرين مرّة، (25) ومنها قوله: (أبى القلب ، قد أرسى، أكلّفه سلوانها ، أعظم به رأسا..)

2. الجملة الاسميّة:

وهي كلّ تركيب احتوى مسنداً في هيئة اسم جامد أو وصف دالّ على الثّبوت[13]، ولها ركنان هما المبتدأ (المسند إليه) والخبر (المسند) . وقد وظّف الأمير الجملة الاسميّة في قصيدته ستّ وعشرين مرّة، (26) ومنها قوله: (حّبي لها بين الجوانح قد أرسى، وهو مغرم، ويح قلبي بعدها، والقلب خلفي بها أمسى، أُناس بهم أهلي سلوت وبلدتي..)

والملاحظ أنّ الأمير قد وازن في توظيف الجمل الاسميّة والفعليّة، ذلك لأنّ غرضه في القصيدة هو الإفصاح عن مدى حبّه واشتياقه وتعلّقه بمدينة بروسة، وسرد جملة من الأسباب التّي جعلت منه يفتتن ويتعلّق بهاته المدينة فكان منها أن وصف جمالها الطّبيعي وعراقة تاريخها وأصالة تراثها ومحافظتها على معالم الحضارة والتربية الإسلاميّة من خلال الدّروس التّي تحفل بها مساجدها، كما أشاد بدور سلطانها الخادم والقائم على شؤونها والذّي يبعث على الفخر والاعتزاز لدوره في تميّز مدينة بروسة وعلوّ مكانتها، وهذه الأفكار التّي سردها الأمير إخباريّة تقريريّة ووصفيّة تستدعي توظيف أفعال ماضية ومضارعة، وكذا تحتاج جملا اسميّة وهو ما اعتمد عليه الأمير في بناء قصيدته، فكان للجمل الفعليّة الموظّفة دلالة التّجدّد إذ يشعر الأمير بتجدّد حبّه وشوقه لمدينة بروسة كلّما تذكّرها، كما كان للجمل الاسميّة الموظّفة دلالة الدّوام والثّبات والبقاء على هذا العهد والحبّ مهما اختلفت الظّروف وبعدت المسافات.

وكما أشرنا أنه يمكن أن يقع على ترتيب عناصر الجملة تغيّر في ترتيب عناصرها بتقديم ما مقامه التّأخير أو العكس، أو حذف أحد هاته العناصر، فسنحاول فيما يلي بحث ذلك.

أ. التّقديم والتأخير:

هو تحوّل في بنية الجملة نحو إعادة ترتيب مفرداتها وتراكيبها وذلك لمقتضيات دلاليّة وأخرى فنيّة توجب على النّاظم إحداث تغيير في ترتيب ألفاظ عمله الأدبي، على نحو يرتبط معه أسلوبيّا وفكريّا ويوضّح طريقته في هذا الإنشاء مع ضمان احتفاظ تلك الألفاظ بالعلامات الإعرابيّة نفسها التّي كانت عليها قبل التّغيير. ، ولا يخفى على كلّ ناظم ما تتيحه اللغة العربيّة من آفاق كبيرة يتمّ فيها تقديم مساحة واسعة من الحريّة في تشكيل بنية الجملة[14]،

وكغيره من النّاظمين فقد وظّف الأمير التّقديم والتّأخير في قصيدته ما يقارب اثنتا عشرة مرّة،(12) منها قوله:

أبى القلب أن ينسى المعاهد من برسا (وحبّي لها بين الجوانح قد أرسى)

وتقدير الكلام قد (أرسى حبّي لها بين الجوانح) ولكن تعجيلا بالإخبار والإفصاح وشوقا منه لمدينة بروسة صرّح بالحبّ الشديد الذي أرسى في فؤاده أي ترسّخ وتثبّت كالعمود الذّي يتبّثه البنّاء في بناءه.

كما حدث تقديم وتأخير في قول الأمير:

(عليّ محال بلدة غيرها أرى) بها الدّين والدّنيا طهورا ولا نجسا

وتقدير الكلام (محال علي أرى بلدة غيرها) أي يستحيل عليّ أن استبدل حبّي وعشقي لبروسة بحبّ بلدة أخرى، وهذا يُظهر كما صّرح في المثال السابق بترسّخ وثبات حبّه لمدينة وتمكّنها منه.

ب. الحذف:

وهو ظاهرة من مظاهر الانزياح التّركيبيّ يلجأ إليه الشّاعر أو النّاظم "فيحذف ما لا يجوز حذفه في الكلام لتقويم الشّعر كما يزيد لتقويمه"[15] وهو "ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، ومن شروط نجاحه وجود دليل على المحذوف ينزله منزلة المظهر. ويقع الحذف على المبتدأ إذا ورد ضميراً أو اسم إشارة، أو على المفعول به أو على الفعل.

والملاحظ في قصيدة الأمير عبد القادر أنّه لم يوظّف الحذف إلّا نادرا ذلك أنّه في خضم وصف وسرد مكنوناته ومدى حبّه وافتتانه بمدينة بروسة بمناظرها الخلابة وتاريخها العريق وأصالتها ونبل وكرم ولطافة أهلها، فتأمن فيها وتستأنس أهلها وتنجلي عنك أحاسيس الغربة. وكلّ هذه المعطيات إنّما يريد الأمير التّفصيل فيها ليتسنّى للمتلقّي التيقّن من مدى تعلّق الشّاعر من هاته المدينة التّي غدت بلدته وموطنه لما وجد فيها من منابع الدفء والأمن التّي كان قد فقدها آنفا. ممّا يتطلّب منه استفاضة وسلاسة في التّعبير لا حصرا واختصارا.وقد تتبّعنا قصيدة الأمير فرأينا موضعين وقع بهما حذف، فالأوّل ما ورد في قوله:

فهبني أسلو أرضها بتكلّف؟ فلستُ بسال للأهالي ولا أنسى

حيث حذف الأمير المنادى (ياصاح) من عبارة (فهبني أسلو أرضها بتكلّف) حيث أنّ تقدير الكلام بقوله: (فهبني يا صاح أسلو أرضها ..) أي اعتبرني يا صاح أو صديقي أفارق أرض بروسة مرغما أو مكرها لا مخيّرا، إذ يستحيل عليه مفارقتها لولا الظّروف القاهرة.

وأمّا الموضع الثّاني للحذف فقد كان في قو ل الأمير: .

وفارقت أهلي مذ تجمّع شملنا وآمنت لاغمّا أخاف ولا نُكْسا

مكارم أخلاق وحسن شمائل ولين طباع واللّطافة لا تنسى

فالمرجّح أنّ الأمير بعد قوله: (وآمنت لا غمّا أخاف ولا نكسا) قد حذف من شطر البيت الموالي: (لما بها أو لما بأهلها من مكارم أخلاق وحسن شمائل...)وقد أحدث الأمير هذا الحذف إنّما تعجيلا منه بالإخبار عن مصدر الأمن والاستقرار الذّين شعر بهما وهو بمدينة بروسة رغم تغرّبه عن وطنه.

ج .الاعتراض:

الاعتراض هو " عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين، يفيد زيادة في معنى غرض المتكلّم، ومنهم من سمّاه الحشو...والفراق بينهما ظاهر وهو أنّ الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلّم والنّاظم. والحشو إنّما يأتي لإقامة الوزن لا غير"[16]. وقد ورد الاعتراض في قصيدة الأمير مرتّان ، الأولى كانت في قوله:

أُكلّفه سلوانها .وهو مغرم . فهيهات أن يسلو هيهات أن ينسى

فالجملة الاعتراضيّة _ وهو مغرم _ جاءت لتأكيد الرّابط الوثيق الذّي تكوّن بين فؤاد الشّاعر ومدينة بروسة حتّى أنّه يحاول أن يأمره بسلوانها أي بنسيانها وترك ذكرياتها إلّا أنّه علم أنّه قد فات الأوان فهو مغرم وعاشق لهذه المدينة وكما قال: (فهيهات أن يسلو وهيهات أن ينسى).

والموضع الثّاني للاعتراض جاء في قول الشّاعر:

وسلطانها .أعني الأمير رئيسها . به افتخرت برسا فأعظم به رأسا

فالجملة الاعتراضيّة _ أعني الأمير رئيسها _ جاءت لتحديد مقصد الشّاعر بالتّدقيق كي لا يستحضر المتلقّي جملة الدّلالات الموافقة لهاته المفردة، فاختصر عليه الشّاعر الأمر، إلّا أنّه إذا ما حذفنا هذا الاعتراض فإنّه لا ينقص من المعنى شيء وبالتالي نستطيع أن نقول أنّ هاته الجملة تدخل في ظاهرة الحشو فهي أقرب منها من الاعتراض.

د- الاستفهام:

هو بنية إنشائيّة طلبيّة (طلب الفهم): أو هو طلب حصول الشّيء المستفهَم عنه في المستفهِم ، بواسطة أدوات مخصوصة تلزم صدارة الأساليب وهي : هل، من، أي، كم، كيف، أين، أن، متى، أيّان[17].

وقد وظّف الأمير عبد القادر الاستفهام بمعدّل أربعة مرّات، وهي في الأبيات الآتية:

وجامعها المشهورلم يك مثله به العلم مغروس به (كم ترى درسا؟)

(وكيف (جكركه) بعدنا وقصورها؟) تراها الثريّا إذا توسّطت القوسا

فكم من عالم فيهم وكم من مجاهد؟ وكم من وليّ قد تخيّرها رَمْسَا؟

إلّا أنّ الملاحظ من هاته الصّيغ جميعا وقوعها لغرض التعجّب فهي ليست استفهاما حقيقيّا وإنّما غرض الشّاعر من توظيفها تبيان مدى إعجابه بخصائص هاته المدينة العريقة وأعلامها.

والملاحظ غياب أسلوب الأمر والنّهي والنّداء، لأنّ الشّاعر يسرد ويصف مدينة بروسة ممّا لا يخدم غرضه.

ثالثا. المستوى الدّلالي:

نسعى في هذا المستوى إلى اكتشاف الانزياحات الدّلاليّة وتحديد الحقول الدّلاليّة لقصيدة الأمير.

إنّ ما يبحث عنه دارس الأسلوب في التّحليل الدّلاليّ للأعمال الأدبيّة هو اكتشاف كلّ عدول أو طفرة في التّركيب اللغوي ممّا يؤثّر تباعا على المفهوم الدّلالي لهاته التّراكيب. ويرى الجرجاني أنّ كلّ عدول باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة (العلاقات اللّغويّة) يوصف بأنّه(مجاز) بمعنى " أنّهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذّي وضع فيه أوّلا".[18]، والمجاز قسمان لغوي وعقلي.

1. المجاز اللّغوي: وينقسم بدوره إلى قسمين: المجاز المرسل والاستعارة.

أ ـ المجاز المرسل: وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملابسة، أي غير التّشبيه، وهذا يعني أنّ الكلمة مستعملة قصدا في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة بين المعنيين، مع قرينة دالّة على عدم إيراد المعنى الأصلي. ولم يوظّف الأمير المجاز المرسل في قصيدته طبعا لعدم ملائمته لغرض الوصف الذّي يتطلّب كثرة التّشبيهات.

ب ـ الاستعارة: هي "ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[19]، وقد عرّفها الجاحظ بقوله:"هي تسمية الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه"[20]. وبالتّالي فالاستعارة تشبيه الشيء بالشّيء دون ذكر وجه الشبه، الذّي يفهم من سياق الكلام. وقد احتوت قصيدة الأمير على بعض الاستعارات منها قوله:

فما جازها فضل ولا حلّ دونها (سواها نجوم وهي أحسبها شمسا)

أي أنّ الفرق بين جمال وأصالة مدينة بروسة عن غيرها من المدن كالفرق بين النّجوم والشّمس في الإنارة والبريق والفرق واضح.

كما استعار الأمير في قوله:

وجامعها المشهور لم يك مثله (به العلم مغروس) به كم ترى درسا

حيث شبّه في عبارة(به العلم مغروس) كثرة إلقاء الدّروس والمحاضرات في مسجد مدينة بروسة والمداومة عليها بالشّجرة المغروسة الثّابتة في مكانها لا تبرحه أبدا.

كما استعار الأمير في قوله:

بها آل عثمان الجهابذة الأُولى (أشادوا منار الدّين) و ابتذلوا النّفسا

حيث شبّه الأمير في عبارة (أشادوا منار الدّين) الطّابع الإسلامي الغالب على هاته المدينة وحرصهم على الحفاظ عليه، بالمنارة المشيّدة الشّاهقة التّي يهتدي إليها كل غريب أو تائه.

ونقف عند صورة تشبيهيّة أوردها الأمير في قوله:

ومن تحتها نهر جرى متدفّقاً يشابه ثعبانا قد خشي الحسّا

فكما هو ملاحظ فإنّ الأمير قد شبّه منظرا طبيعيّا ساحراً. النّهر المتدفِّق الجاري. بالثّعبان في حركته السّريعة حين استشعاره الخطر.

2. المجاز العقلي:

"هو أن يكون التّجوز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه"[21]، وهو مجاز لا يعتمد على(الإسناد)، وقد أورده الأمير عبد القادر في قوله :

فيصبوا بها في العيد من ليس صابيا (ويفرح مخزون الفؤاد ولا يأسى)

حيث ربط مشاعر الفرح التّي اختلجت فؤاده وارتفاع معنويّاته وهي شعور محسوس لا ماديّ بالمخزون أي الشّيء المكتنز المخبئ للضّرورة وهو شيء جامد لا حركة ولا حياة فيه وجعل له قدرة على الإحساس بالفرح والأسى.

3. الحقول الدّلاليّة:

يعتبر المعجم اللّغوي أحد المكوّنات الرّئيسيّة للعمل الأدبي، ولتحديده لابدّ من مراعاة معاني الكلمات ودلالاتها على مستوى النصّ ، كما يجب مراعاة القراءة الباطنيّة التّأويليّة للنصّ، على اعتبار أنّ الكلمات هي مداخل متعدّدة المعاني، تمثّل الدّلالة الظّاهريّة والدّلالة المسكوت منها، بالاعتماد على السّياق الذّي يفتح لنا مجال التّأويل[22].

أ. حقل الطّبيعة:

وقد وظّفه الأمير على وجهيه الجامد والمتحرّك، فالطّبيعة الجامدة تمثّلت في : (النّجوم، الشّمس، الرّياض، النّهر، الأرض) وذلك رغبة منه للتّشبيه والمقارنة بين حسن وبهاء مدينة بروسة على غيرها من المدن كالمفارقة بين حسن الشّمس والنّجوم، وذلك من خلال قوله:

فما جازها فضل ولا حلّ دونها سواها نجوم وهي أحسبها شمسا

وقد ذكر الأمير من معجم الطّبيعة المتحرّكة مفردة (الثّعبان) وذلك في إطار تصوير منظر النّهر الجاري الدّافق الذّي شبّهه بالثّعبان في طوله وانحناءاته، ونرى أنّ الأمير لم يوفّق في هذا التّشبيه فالثّعبان على اعتبار أنّه كائن حيّ إلّا أنّه سامّ ومميت وتوظيفه في النصّ يبعث توتّرا وغرابة وتشويشا في ذهن المتلقّي كما يعكس جانبا خفيّا من نفسيّة الأمير فكأنّه يشعر بالغدر والخديعة. وحضور معجم الطّبيعة الأمير بنسبة معتبرة في القصيدة يعكس ميله للتيّار الرّومانسي الوجداني.

ب ـ حقل الأعضاء: وقد وقع اختيار الأمير من أعضاء جسم الإنسان على عنصري: (القلب، الجوانح)

القلب: وهو عضو صنوبريّ الشّكل يقع في الجانب الأيسر من الصّدر، وهو مولّد الدّورة الدّمويّة[23]، كما أنّه محلّ العواطف النّبيلة كالمحبّة والوفاء، وقد غمر حبّ وغرام مدينة بروسة قلب الأمير إذ وعدها بالإخلاص والوفاء رغم رحيله عنها. **من خلال قوله:**

أبى القلب أن ينسى المعاهد من برسا وحبّي لها بين الجوانح قد أرسى

أكلّفه سلوانـــــها وهو مغـرم فهيهات أن يسلو وهيهات أن ينسى

الجوانح: وهي أضلاع الإنسان القصيرة ممّا يلي الصّدر[24]، فقد تمركز وتربّع حبّ الأمير لمدينة بروسة بين جوانحه، ممّا يوحي باستحالة تزحزح هاته المشاعر من قلبه وجوانحه.

جـ ـ الحقل الجغرافي: ذكر الأمير في قصيدته بعض المناطق الجغرافيّة من البلاد التّركيّة وهي: مدينة بروسة والتّي نظم قصيدته حولها، كما ذكر مدينة جكركة وهي حيّ من أحياء بروسة الجميلة، ونارباش وهي منطقة في بروسة. ويدلّ هذا التّحديد الجغرافيّ على المعرفة الدّقيقة للأمير بمدينة بروسة وأحيائها كما يدلّ على طول المدّة التّي مكث بها الأمير بهاته المدينة والتّي قدّرت بثلاث سنوات، ممّا مكّنه من معرفة جميع متعلّقاتها.

د ـ حقل المشاعر: حيث سرد الأمير جملة من المشاعر والأحاسيس التيّ انتابته:

(ينسى، حبّي، يسلو، مغرم، يبكهم، أطيب به، يصبوا، يفرح، يأسى، أُنسا، آمنت، غمّا، أخاف)

هـ ـ حقل الطّبيعة: وألفاظه: (نجوم، شمس، روضة، نهر، ثعبان، الأرض).

و ـ حقل الدّولة: وألفاظه: (بلاد، سلطانها، الأمير ، رئيسها، رأسا،المنزل الأعلى، آل عثمان، عالم ، مجاهد، وليّ، القصور).

ز ـ حقل الأعضاء: فذكر الأمير من بين أعضاء جسم الإنسان: (القلب، الجوانح) للدّلالة على الحالة الشّعوريّة التّي تملّكته من حبّ وحزن وفخر..

حـ ـ حقل الدّين: فذكر الأمير بعض المصطلحات التّي تدلّ على انتمائه العقائدي: (الجامع، الدّرس، طهورا، الحرمين) وكان ذكر الحرمين عبارة عن تركيب لا لفظ مفرد (سوى من يشدّ الزّائرون لها الحلسا) والذّي يُشَدُّ له الحلس هو البيت الحرام بمكّة.

خاتمة:

بعد تحليل قصيدة " التشّوق إلى بروسة " للأمير عبد القادر نخلص إلى نتائج مهمّة تميّز بها أسلوب الأمير وهي:

ـ من ناحية الشّكل الخارجي للقصيدة لاحظنا تأثّر الأمير عبد القادر بالشّعراء القدامى من ناحية الإيقاع والوزن وبناء القصيدة.

ـ أمّا من ناحية البناء الدّاخلي للقصيدة فلاحظنا:

ـ انعكاس التّكوين الثّقافي والعلمي وهيمنة الجوّ الدّيني القويّ والأخلاقي على أسلوب القصيدة.

ـ الجودة الشّعرية ببعديها اللغوي والجمالي هو الطّابع الغالب على قصيدة الأمير.

ـ صدق المشاعر والأحاسيس وقوّتها عكس أخلاق الأمير من اعتراف بالفضل وعدم نكران الجميل رغم المكانة العلمية والسياسيّة العالية للأمير.

ـ إخلاص الأمير ودّه لمن عاشرهم من أهل بروسة، وحفظ ذكراهم والمعاهد التّي جمعته بهم.

ـ هذه القصيدة وغيرها من شعر الأمير تعدّ انعكاسا علمي وأدبي ومخالف لشخصية الأمير القائد والفارس.

ـ إنّ الصّورة التّي كشفها الأمير من تعلّقه ببرسة لكونها مدينة علم ودين وخلافة وجمال إنّما هو احالة ورمزيّة لشوقه لوطنه الأم الذّي أرغم على مغادرته.

ـ كما أنّ توظيف الأمير لبعض المناظر الطّبيعة إنّما عكس انتماءه للتيّار الرومانسي.

الملحق :

قصيدة " التشوّق إلى بروسه" للأمير عبد القادر الجزائري

أبى القلب أن ينسى المعاهد من برسا وحبّي لها بين الجوانح قد أرسى

أُكلّفه سلوانها وهو مغـــــرم فهيهات أن يسلو وهيهات أن ينسى

تباعدت عنها ويح قلبي بعدها وخلّفتها والقلب خلفي بها أمسى

بلاد لها فضل على كلّ بلدة سوى من يشدّ الزّائرون لها الحلسا

فما جازها فضل ولا حلّ دونها سواها نجوم وهي أحسبها شمسا

عليّ محال بلدة غيرها أرى بها الدّين والدّنيا طهورا ولا نجسا

وجامعها المشهور لم يك مثله به العلم مغروس به كم ترى درسا

وسلطانها أعني الأمير رئيسها به افتخرت (برسا) فأعظم به رأسا

ومنزله الأعلى حكى لي روضة به الفخر قد أمسى به الفضل قد أرسى

بها آل عثمان الجهابذة الأُولى أشادوا منار الدّين وابتذلوا النّفسا

ألا يبكهم للدّين من كان باكيا فما شأن هذا الدّين في عصرهم نحسا

فكم عالم فيهم؟ وكم من مجاهد؟ وكم من وليّ قد تخيّرها رَمْسَا؟

ألا ليت شعري هل أحلّ رياضها؟ ب(نارباش) هل أطيب به نفسا؟

فيصبوا بها في العيد من ليس صابيا ويفرح مخزون الفؤاد ولا يأسى

وكيف (جكركه) بعدنا وقصورها؟ تراها الثريّا إذا توسّطت القوسا

ومن تحتها نهر جرى متدفّقا يشابه ثعبانا وقد خشي الحَسّا

فهبني أسلو أرضها بتكلّف؟ فلستُ بسال للأهالي ولا أنسى

ومن أجلهم حبّي لها وتشّوقي وإنّ غلاء الدّار بالجار قد أمسى

أُناس بهم أهلي سلوت وبلدتي وفي كلّ آن قد أرى ناظري أُنسا

وفارقت أهلي مُذ تجمّع شملنا وآمنت لا غمّا أخاف ولا نِكسا

مكارم أخلاق وحسن شمائل ولين طباع واللّطافة لا تنسى

سقى الله غيثا رحمة وكرامة أراض بها حلّ الأحبّة من (برسا)

هوامش وإحالات المقال

[1] .بروسة : مدينة تركيّة استقرّ بها الأمير .بعد أن أطلق سراحه من طرف لويس نابليون. مدّة ثلاث سنوات قبل أن ينتقل إلى دمشق.

[2] .مكي خديجة، مستويات وآليات التحليل الأسلوبي، مجلّة اللّغة الوظيفيّة، دت، العدد السّابع،،ص: 6

[3] .نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، تحقيق وشرح وتعليق محمّد الصّالح رمضان ومحمّد الاخضر السّائحي، مؤسّسة الأمير عبد القادر، الجزائر، ط2، جويلية2001م،ص:5

[4] .السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان،ط/2.(1407هـ.1999م)، ج5، ص:470.

[5] .ابن منظور جمال الدّين محمد ابن مكرم: لسان العرب، نشر أدب الجوزة، قم.ايران1405هـ، مادة كرّر، ج5.ص:138

[6] .ابن معصوم: أنوار الرّبيع في ألوان البديع، تحقيق شاكر هادي، مطبعة العراق، ط1، 1969، ج5، ص:34

[7] .عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، دط، 1962م ص:138

[8] .عبد الله ابن المعتزّ، البديع، اعتنى بالمقدّمة وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة،دط،دت ص:25

[9] .السكّاكي، مفتاح العلوم، ص:429

[10] .محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط3، 1992م،ص:70

[11] .المرجع نفسه، ص:117

[12] .أحمد قبش: الكامل في النّحو والصّرف،المكتبة الحديثة للطباعة والنّشر، بيروت، دط،1978م، ص:08

[13] . أبو شبر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب.كتاب سيبويه.دار الكتب العلميّة ، بيروت، ص: 23- 24.

[14] .المرجع السّابق: ص: 276

[15] .أحمد محسن ويس: الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة،مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع،بيروت، لبنان، ط2005،1م، ص:20

[16] . تقي الدّين أبي بكر المعروف بابن حجّة الحموي خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعينو، مكتبة الهلال بيروت،1987،ج2،ص:280

[17] . ينظر، محمد عبد المطلب: في البلاغة العربيّة ، قراءة أخرى، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، مصر، ط1، 1997، ص:284.

[18] .عبد القاهر الجرجانيّ،أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983م، ص: 395

[19] .الإمام القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصريّة، بيروت،دط، 2005م. ص:274[19]

[20] .الجاحظ، البيان والتّبيين،ج، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، دت،ج1،ص: 124

[21] .عبد القاهر الجرجانيّ، أسرار البلاغة، ص:383

[22] .ينظر،طاهر حجّار، مجلّة اللغة والأدب، ص:110

[23] .ينظر، جميل أبو نصري وآخرون، المتقن، المعجم العرب المصّور، عربي.عربي،دار الرّاتب الجامعيّة، بيروت،لبنان ص:527

[24] .معجم المعاني الجامع:.معجم عربي عربي، الكتروني.تاريخ الاطلاع:2022/12/2م،https//www.almaany.com

قائمة المصادروالمراجع:

1. أحمد قبش: الكامل في النّحو والصّرف،المكتبة الحديثة للطباعة والنّشر، بيروت، دط،1978م.
2. أحمد محسن ويس: الانزياح من منظور الدّراسات الأسلوبيّة،مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع،بيروت، لبنان، ط1،2005م.
3. الإمام القزوينيّ، الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصريّة، بيروت،دط، 2005م.
4. تقي الدّين أبي بكر المعروف بابن حجّة الحموي خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شعينو، مكتبة الهلال بيروت،1987 ،ج2.
5. الجاحظ، البيان والتّبيين،ج، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، دت،ج1.
6. جميل أبو نصري وآخرون، المتقن، المعجم العرب المصّور، عربي.عربي،دار الرّاتب الجامعيّة، بيروت،لبنان.
7. السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان،ط/2.(1407هـ.1999م)، ج5.

8. أبو شبر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب .كتاب سيبويه .دار الكتب العلميّة ، بيروت.
9. طاهر حجّار، مجلّة اللغة والأدب.
10. عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، دط، 1962م
11. عبد القاهر الجرجانيّ،أسرار البلاغة، تحقيق ريتر، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1983م.
12. عبد الله ابن المعتزّ، البديع، اعتنى بالمقدّمة وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة،دط،دت
13. محمد عبد المطلب: في البلاغة العربيّة ، قراءة أخرى، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، مصر، ط1، 1997م.
14. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجيّة التّناص)، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، ط3، 1992م.
15. معجم المعاني الجامع: .معجم عربي عربي، الكتروني .تاريخ الاطلاع:2022/12/2م،https//www.almaany.com
16. ابن معصوم: أنوار الرّبيع في ألوان البديع، تحقيق شاكر هادي، مطبعة العراق، ط1، 1969، ج5.
17. مكي خديجة، مستويات وآليات التحليل الأسلوبي، مجلّة اللّغة الوظيفيّة، دت، العدد السّابع.
18. ابن منظور جمال الدّين محمد ابن مكرم: لسان العرب، نشر أدب الجوزة، قم. ايران1405ه، مادة كرّر، ج5 .
19. نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، تحقيق وشرح وتعليق محمّد الصّالح رمضان ومحمّد الأخضر السّائحي، مؤسّسة الأمير عبد القادر، الجزائر، ط2، جويلية2001م.